اهتمام المغاربة بالسيرة النبوية:
من العناية إلى التميز في التقريب

عبد العزيز شهبي
طالب باحث بسلك الدكتوراه
جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس
المملكة المغربية

ملخص البحث:

لقد كانت عناية المغاربة بالسيرة النبوية واضحة، واهتمامهم بها ظاهر، وذلك راجع لتعلقهم بجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تجلى من خلال تناولهم لكل ما يتعلق بسيرته، وحديثهم عن أوصافه، زيادة على محبتهم له ولآل بيته، والاحتفال بمولده، وعقد لقاءات للصلاة عليه.

كما تناول البحث نماذج لبعض المبادرات من سلاطين المغرب خدمة السيرة النبوية، إضافة إلى مساعي العلماء في نشر شمائل المصطفى ومناقبه وكل تفاصيل حياته، سعيا منهم لتعزيز قضية التأسي والاقتداء به عليه الصلاة والسلام.

إن أهل المغرب كانت لهم جهود في تبسيط السيرة وتقريبها، وتيسير مباحثها بطريقة نافعة للمبتدئ ولا يستغني عنها المنتهي، وقد تجلى هذا العمل من خلال تحويل المؤلفات الطويلة إلى مختصرات، والاشتغال على عدد من الكتب بالشرح والتفصيل وبيان الغامض وتوضيح المستغلق وإزالة الإبهام عن القضايا التي يكتنفها الغموض.

كما تميز المغاربة في إطار تبسيط السيرة بالانتقال من المتن المنثور إلى المادة الموزونة، حتى يسهل حفظها واستحضارها عند الحاجة.

الكلمات المفتاحية: عناية المغاربة، السيرة النبوية، التقريب

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــــد:

إن الله اصطفى الأمة المحمدية بإنزال آخر كتبه على خاتم رسله وأنبيائه، حيث جاء فيه الأمر باتباع الرسول والاقتداء به، وجعل طاعته لا تنفك عن طاعة الخالق سبحانه.

ومعلوم أن التأسي والا تباع لا يتحقق إلا بمعرفة أحوال المتأسى والمقتدى به، والاطلاع على أحواله وأخلاقه، فهي بمنزلة النور الذي يستضاء به في ظلمات الحياة، والنبراس الذي يستنار فيه الحوالك، إذ الرسول الكريم هو النموذج الذي ينشده المسلم بغية الفوز بسعادة الدنيا وكرامة الآخرة.

كما أن معرفة السيرة تعد خير معين على فهم نصوص الوحي؛ لكونها تتناول الأحداث والوقائع الذي عرفتها حياة الرسول المكلف بتبليغ شريعة الله.

ولذا نالت السيرة النبوية نصيبا وافرا من اهتمام العلماء عموما والمغاربة على وجه الخصوص، وذلك راجع لتعلقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيمانهم به الذي يقتضي محبته والتمثل بأخلاقه، والسير على نهجه، ولا يتم ذلك إلا بقراءة سيرته والتعرف على تفاصيل حياته.

ولعل العناية الفائقة التي أولاها أهل المغرب للسيرة مرجعها التعلق الشديد بجناب الرسول الأكرم، والمحبة الصادقة بالنبي الأعظم، إذ كان من تجلياتها بذل الجهود في خدمة السيرة، من خلال عقد مجالس لتدريسها وتلقينها لكافة شرائح المجتمع كبارا وصغارا، علاوة على إفرادها بمؤلفات جامعة لمسائلها حاوية لقضاياها، وتخصيصها بمصنفات ميسرة لها، مقربة لمضامينها إلى عموم الناس.

وفي سياق الحديث عن تعلق المغاربة بكل ما له صلة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبدل الجهود المحمودة في سبيل خدمة سيرته جاء هذا البحث؛ لتوضيح جانبا من اهتمام أهل المغرب ـ أمراء وعلماء ـ بالسيرة النبوية، مع التركيز على رصد الجهود المبذولة في سياق تبسيط مباحث السيرة وتيسيرها حتى تكون في متناول الراغبين.

أ ـ أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة لتحقيق مجموعة من الأهداف، ومنها:

- بيان تعلق المغاربة برسول الله ومحبتهم له
- التنويه بجهود سلاطين المغرب في خدمة السيرة النبوية
- الوقوف على تجليات عناية علماء المغرب بالسيرة
- رصد بعض جوانب تمير المغاربة وتفردهم في خدمة السيرة
- مساعي العلماء في تبسيط السيرة وتقريبها

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

هذه أهم الأهداف التي تصبو إلى تحقيقها هذه الدراسة.

ب ـ إشكالية البحث:

لقد عرفت السيرة النبوية اهتماما من قبل أهل المشرق، تجسد العناية في تدوين مسائلها، وتوثيق أحداثها، وكتابة وقائعها، على غرار أبي بكر بن إسحاق، وابن هشام، وابن سعد...

ولذا يمكننا أن نطرح سؤالا مفاده: إلى أي مدى تمكن أهل المغرب من الإسهام في خدمة السيرة النبوية؟

ويتفرع عن هذا السؤال المركزي مجموعة من الأسئلة الفردية، من قبيل:

ما العوامل المفسرة لتعلق المغاربة بجناب الرسول صلى الله عليه وسلم؟

وهل كان لتعلق أهل المغرب بالنبي صلى الله عليه وسلم من آثار؟

هل كانت العناية بالسيرة مقتصرة على العلماء أم كان للأمراء والسلاطين جهود في هذا الباب؟

ما طبيعة اجتهاد علماء المغرب في تبسيط السيرة وتقريبها من الناس؟

حول هذه الأسئلة وغيرها يدور هذا البحث.

ج ـ الدراسات السابقة:

مما يساعد الباحث على بناء إشكالية مستجمعة للشروط، اطلاعه على الدراسات والأبحاث والمقالات السابقة في الموضوع، وذلك لإضافة ما نقص، وجمع ما تفرق، وترتيب ما يحتاج لترتيب.

وحسب بحثي المتواضع وتنقيبي القاصر لم أعثر على دراسة تحدث عن الموضوع بالطريقة التي تناولها هذا البحث.

وهذا لا يعني عدم وجود دراسات أفردت للحديث عن تعلق المغاربة برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو المؤلفات المغربية في السيرة، بل هي موجودة بكثرة، لكن لا أحد من هذه الدراسات اقتصر على ذكر جهود المغاربة وحدهم ـ علماء وسلاطين ـ في خدمة السيرة وجهودهم المتنوعة في تقريب موادها، وتبسيط مباحثها للناس.

ومن جملة الدارسات التي تلتقي بهذا البحث في بعض النقاط ما يأتي:

- المغرب إحدى قلاع السنة النبوية في عهد الدولة العلوية، بحث كتبه محمد بن علي الكتاني، نشرته مجلة دعوة الحق، العدد 302 رمضان 1414/ مارس 1994م.

تحدث فيه الكاتب عن جهود ملوك الدولة العلوية في خدمة السيرة النبوية، إضافة إلى بعض الخدمات المنسوبة للزوايا والصلحاء في هذا الباب، دونما إشارة إلى تميز المغاربة وتفردهم على مستوى تبسيط السيرة وتقريب مادتها من الناس، وهذا ما سيتناوله هذا البحث.

- مظاهر عناية المغاربة بكتب السيرة وكتب الشمائل النبوية وأهم مصنفاتهم وشروحاتهم، عزيز بوزغيبة، بحث نشرته مجلة دعوة الحق، العدد 397 يوليوز 2010م.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تناول فيه الباحث بعض الجهود المحمودة التي قام بها بعض سلاطين المغرب خدمة لسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، مع ذكر أنواع التأليف في السيرة من قبل علماء المغرب، لكنه لم يخصص البحث لجهود المغاربة وحدهم، بل ضم إليهم إنتاجات علماء الأندلس، كما لم يذكر عددا من تجليات اهتمام علماء المغرب بالسيرة، أما هذا البحث فاقتصر فقط على العلماء المنتمين للمغرب الأقصى وحدهم، باسطا القول في بيان أوجه عناية المغاربة بالسيرة.

- جهود الزاوية الكتانية في خدمة السنة والسيرة، كتبه: يوسف الكتاني، نشر في العلم يوم 24 - 09 – 2010م.

هذا المقال بسط القول في عطاءات الزاويا خدمة للسيرة النبوية، متناولا نشأة الزوايا ومساعيهم في هذا الباب، لكنه لم يضمّن بحثه جهود السلاطين والعلماء غير المنتمين للزوايا، وهذا ما تناوله هذا البحث بشيء من التفصيل.

هذه بعض الدراسات السابقة في موضوع الإجماع في التفسير، وإن لم تتطرق له بشكل مباشر، إلا إنها ذكرت الكثير من المعطيات المتعلقة به.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المحور الأول: تعلق المغاربة برسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن حب المغاربة لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقهم بجنابه الشريف أمر في غاية الظهور والبيان، لا يحتاج إثباته لدليل وبرهان؛ إذ ارتباط أهل المغرب برسول الله يعرفه القاصي والداني، والبعيد والقريب، حيث دفعهم اهتمامهم البالغ، وعنايتهم الفائقة إلى الانكباب على سيرته بالدراسة والشرح والنظم، كما حملهم على خدمة شمائله ومناقبه العطرة.

أولا: أقلام مغربية في وصف خير البرية.

من تصفح إنتاجات الأقلام المغربية في سياق حديثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدرك أنهم وصفوا شكله وهيئته، كما شمل وصفهم أخلاقه ومناقبه، ودلائل نبوته ومعجزاته.

ومن أهل المغرب الذين تميزوا في الوصف الدقيق لشكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومظهره دفين مراكش القاضي عياض، الذي أورد في كتابه الشفا ما نصه:"كان: أزهر اللون، أدعج، أنجل، أشكل، أهدب الأشفار، أبلج أزج، أقنى، أفلج، مدور الوجه، واسع الجبين، كث اللحية تملأ صدره، سواء البطن والصدر، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام، عبل العضدين والذراعين والأسافل، رحب الكفين والقدمين، سائل الأطراف، أنور المتجرد، دقيق المسربة، ربعة القد، ليس بالطويل البائن، ولا القصير المتردد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد، ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم، رجل الشعر، إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق، وعن مثل حب الغمام، إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه، أحسن الناس عنقا، ليس بمطهم، ولا مكلثم، متماسك البدن، ضرب اللحم"[1].

يتضح مما سبق دقة الوصف، والتميز في عرض الشمائل المحمدية، إذ نص على ذكر لونه والتفاصيل الدقيقة المتعلقة بجسمه الشريف، وإن كانت هذه الأوصاف ذكرها بعض الصحابة، فإن عرضها في مؤلف بهذه الطريقة فيه دلالة على الاهتمام بكل ما له صلة بالنبي الكريم.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المؤلفين المغاربة خصصوا أبوابا من كتبهم في وصف النبي صلى الله عليه وسلم، كصنيع محمد بن سليمان الجزولي، الذي عقد بابا في كتابه دلائل الخيرات لذكر أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأوصافه، حيث عرض كثيرا من الصفات يضيق المقام عن ذكرها[2].

ومما يلزم التنبيه إليه في هذا المقام أن جانب المناقب والخصال الحميدة نال حظه مما خطته الأقلام المغربية، ومن ذلك ما ضمنه عبد الله كتابه، إذ أورد فيه ما نصه:" وأشرف الأنبياء نصابا، وأبينهم خطابا، وأفضلهم مولدا ومهاجرا وعترة وأصحابا وأكرم الناس أرومة، وأشرفهم جرثومة، وخيرهم نفسا، وأطهرهم قلبا، وأصدقهم قولا، وأزكاهم فعلا، وأثبتهم أصلا، وأوفاهم عهدا، وأمكنهم مجدا، وأكرمهم طبعا، وأحسنهم صنعا..."[3].

نخلص مما سبق أن جهود المغاربة في وصفهم للحبيب المصطفى مشهودة، وإنتاجاتهم في هذا الباب محمودة، حيث إن وصفهم تميز بالدقة والشمول، واتسم بالجزالة والعموم، حيث لم يكونوا أقل شأنا من إخوانهم بالمشرق بشأن الاهتمام بمباحث السيرة وفصولها.

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى، حققه: أسامة الرفاعي وآخرون، دار الفيحاء، عمان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ، (149.147/1).

(2) دلائل الخيرات، محمد بن سليمان الجزولي، ص: 10 وما بعدها.

(3) النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، الطبعة: الثانية، 1380هـ، (340/2).

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وكانت الغاية من ذكر النقول السابقة الاستشهاد والتمثيل؛ إذ الإحاطة متعذرة، والإلمام بالموضوع صعب؛ الأمر الذي أدى إلى الاكتفاء بما ذكر.

ثانيا: مظاهر محبة المغاربة لرسول الله.

لقد أظهر أهل المغرب منذ دخول الإسلام إلى بلادهم محبة خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعقلهم الشديد بجانبه الكريم، حيث كان لهذا الحب الصادق تجليات ومظاهر، يمكن ذكر بعضها فيما يأتي:

أ ـ محبتهم لآل البيت.

من طرق تعبير المغاربة عن حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبتهم لآل بيته، واحترامهم وتوقيرهم وإنزالهم منزلة رفيعة تليق بمقامهم، إذ تجلى ذلك عند قدوم بعض المنتسبين لآل البيت إلى المغرب، وفي مقدمتهم المولى إدريس بن الحسن حفيد علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله، حيث آووه ونصروه وأمَّروه عليهم، وبعد وفاته استمر هذا الاحترام مع ابنه المولى إدريس الثاني ثم حفدته من بعده[1].

ومن احترامهم لآل البيت تسميه أبنائهم بأسمائهم، حيث كان المغاربة يسمون الابن البكر محمدا، والبنت الأولى فاطمة الزهراء، كما يلاحظ وجود أسماء الحسن والحسين بكثرة.

ب ـ توثيق الصلات ببلاد الحرمين.

من مظاهر محبة أهل المغرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلقهم بالمكان الذي ولد ونشأ فيه وقضى فيه جل عمره (أرض الحجاز)، وارتباطهم بالموضع الذي قضى فيه أواخر عمره عليه السلام (المدينة)، حيث كانوا يشدون الرحال إليهما، طلبا للعلم ونشره، وأداء لفريضة الحج، ورغبة في زيارة مضجع النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر وعمر، وقبور أهل بيته وأصحابه رضي الله عن الجميع[2]، ولعل هذا أصل العبارة الشائعة التي جرت مجرى المثل في الأوساط المغربية " حجة وزيارة".

ومن الأمثلة على هذه الرحلات: الرحلة العياشية[3]، والرحلة الناصرية[4]...

ويعد من عوامل توطيد العلاقات بالأراضي المقدسة إرسال الكتب إليها، فقد ذكر المقري أن أبا الحسن المريني كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة[5].

---

(1) ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس محمد الناصري، حققه: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، (1/ 211) وما بعدها بتصرف.

(2) ينظر: ملء العَيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ابن رشيد السبتي، المحقق: ابن الخُوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ، (23/5) وما بعدها.

(3) الرحلة العياشية، عبد الله بن محمد العياشي، المحقق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، الطبعة الأولى: 2006م.

(4) الرحلة الناصرية الكبرى، محمد بن عبد السلام الناصري، المحقق: المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة: 1434هـ.

(5) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقري، المحقق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى: 1997م، (386/4) بتصرف.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ج ـ الاحتفال بالمولد.

من تجليات محبة المغاربة لرسول الله صلى الله عليه وسلم احتفالهم بمولده، وتعظيمهم لليوم الذي خرج فيه رسول الهدى للوجود، فقد كانت المنصور ترتيبات وإجراءات في الاحتفال بالمولد النبوي الكريم إذا طلعت طلائع شهر ربيع الأول[1]، وادعى صاحب النبوغ أن العزفيين رؤساء سبتة هم أول من سن الاحتفال بالمولد حيث نقل ما نصه:" ومما يسجل بغاية الإعجاب للعلماء المغاربة من هذا العصر، هذا النوع من التأليف في السيرة النبوية الذي يعد حدثاً بديعاً فيها؛ وهو المتعلق مولد الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد كان العزفيون رؤساء سبتة قد أحدثوا فيها الاحتفال بالمولد الشريف، ولم يكن ذلك معروفاً في المغرب ولا في غالب الأقطار الإسلامية"[2].

بينما يرى محمد يسف أن بداية الاحتفال بالمولد تعود لأواخر القرن الرابع، وفي رده لما نقله عبد الله كنون يقول:" ومما يسجل بغاية الإعجاب للعلماء المغاربة من هذا العصر، هذا النوع من التأليف في السيرة النبوية الذي يعد حدثاً بديعاً فيها؛ وهو المتعلق مولد الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد كان العزفيون رؤساء سبتة قد أحدثوا فيها الاحتفال بالمولد الشريف، ولم يكن ذلك معروفاً في المغرب ولا في غالب الأقطار الإسلامية[3].

وألفوا في الموضوع مؤلفات نفسية، كتب لها الانتشار على غرار: الدر المنظم في المولد المعظم، محمد بن أحمد العزفي السبتي[4]، والتنوير في مولد السراج المنير لابي الخطاب بن دحية[5]...

هذه بعض تجليات محبة المغاربة وتعلقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فإن المحبة تجسدها أمور أخرى كالاهتمام بسنته، والعناية بسيرته، وخدمتها تدريسا، وإقراء وتصنيفا.

ثالثا: إنشاء صيغ للصلاة عليه.

مما يعبر عن محبة أهل المغرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فاضت به عطاءات العلماء والفقهاء، وجادت به ألسنة الأولياء والصلحاء، من نفائس الأذكار والصلوات، إذ اجتهد عدد من الصلحاء في إحداث صيغ للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:

صلاة لمحمد بن سليمان الجزولي[6]، وصلاة إبراهيم التازي[7]، وصلاة عبد السلام بن مشيش[8]، وصلاة المعطي بن الصالح[9]...

---

(1) الاستقصا، الناصري، (151/5).
(2) النبوغ، عبد الله كنون، (132/1).
(3) المصنفات المغربية في السيرة، محمد يسف، بحث نشرته: مجلة دعوة الحق، العدد: 260، نونبر 1986م.
(4) فهرس الفهارس والأثبات، عبد الحي الكتاني، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1982م، (156/1).
(5) النبوغ المغربي، (160/1).
(6) دلائل الخيرات، الجزولي، ص: 12 وما بعدها.
(7) النبوغ المغربي، عبد الله كنون، (341/2).
(8) المصدر نفسه، (330/2).
(9) المصدر نفسه، (343/2).

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وللإشارة فإن أكثر المعبرين عن حبهم الصادق للنبي الأكرم، والمظهرين لتعلقهم بشمائله ومناقبه وأهل بيته بالمغرب أقطاب التصوف السني، فظل ذلك حاضرا مشاهدا على الرغم من اختلاف العصور وتعاقب الدول، حيث كان لهم دور فعال في تقريب السيرة النبوية لعلوم الناس، وبذل الجهود الحثيثة في ربط الناس بقيم نبيهم، سعيا منهم لنشر مكارم الأخلاق بالمجتمع.

المحور الثاني: بعض مظاهر عناية المغاربة بالسيرة.

سجلت كتب التاريخ والسير عددا من جهود المغاربة الخادمة للسيرة النبوية، إقراء وتدريسا وتصنيفا وتدوينا، حيث كان للحكام والعلماء تكامل وتعاون في خدمة السيرة النبوية.

أولا: قبسات من اهتمام ملوك المغرب بالسيرة.

إن الاهتمام بالسيرة النبوية من قبل المغاربة مشهود به على مر التاريخ وتعاقب الدول التي حكمت البلاد، ولم تكن العناية محصورة في خانة الفقهاء والعلماء، والصلحاء والأولياء، بل تجاوزتهم إلى الحكام والأمراء، الذي سخل لهم التاريخ عددا من الجهود المحمودة المبذولة خدمة لسيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن مظاهر ما قام به حكام المغرب خدمة للسير النبوية ما يأتي:

أ ـ تحبيس بعض كتب السيرة على الخزانات.

من الخدمات المقدمة للسيرة التي قام بها بعض السلاطين، تحبيس بعض الكتب على الخزانات، ولعل الغاية من ذلك حفظ تلك الكتب من التعرض للتلف، وجعلها متاحة في مكان معلوم حتى يسهل الرجوع إليها والاستفادة منها.

وفي هذا السياق قام السلطان أبو الربيع المريني على تحبيس نسخة من كتاب: الشمائل النبوية، تحت رقم: 2837 على مسجد الرصيف بمدينة فاس سنة: 1217هـ[1].

كما كانت للسلطان محمد بن عبد الله مبادرات في هذا الباب، كتحبيسه على خزانة القرويين بفاس في مجال الشمائل النبوية: نسخة الشمائل تحت رقم: 2351 سنة 1156هـ. ونسخة أخرى، تحت رقم: 299، ونسخة أخرى تحت رقم: 3202عام: 1156هـ[2].

ومن الأعمال المشهودة تحبيس المولى اليزيد عددا من الكتب، ومنها: كتاب صحيح الإمام البخاري" وكتاب "الشفا للقاضي عياض" وكتاب "الشمائل المحمدية للترمذي"[3]، كما قام بتحبيس هذه الكتب الثلاثة السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل بن مولاي علي الشريف العلوي والذي حكم المغرب حتى سنة: 1790م[4].

ب ـ الحث على عقد مجالس لقراءة السيرة.

---

(1) مظاهر عناية المغاربة بكتب السيرة وكتب الشمائل النبوية وأهم مصنفاتهم وشروحاتهم، عزيز بوزغيبة، بحث نشرته مجلة دعوة الحق، العدد 397 يوليوز 2010م.

(2) المرجع نفسه.

(3) عناية ملوك الدولة العلوية بالخزائن العلمية وتحبيس الكتب عليها، عبد العزيز تيلاني، بحث نشرته مجلة دعوة الحق العدد 404 صفر1434هـ/ يناير 2013م.

(4) المرجع نفسه.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

لا تخفى أهمية المجالس في تقريب السيرة النبوية من عموم الناس، إذ غالبا ما كنت تعقد تلك المجلس في المساجد أو الزوايا، وهي أماكن يقصدها كثير من الناس على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم.

ونظرا لأهميتها أمر السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام العلوي بعقد مجلس يومي وتخصيصه لسماع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومغازيه، ومغازي الخلفاء الراشدين، وسلف الأمة وأخبار رؤساء العرب، وحكمائها وشعرائها، ومحاسنهم وسياساتهم، وليتخيروا لهم من الكتب الموضوعة في ذلك أنفعها، مثل: كتاب الاكتفا لأبي الربيع الكلاعي[1].

كما كان للمرحوم الحسن الثاني رحمه الله أعمال جليلة في هذا الباب، ومنها على سبيل المثال: إنشاء الدروس الحسنية التي كانت تلقى بحضرة جلالته، وعدد منها كان في موضوع السيرة، كالدرس الذي ألقاه عبد الله كنون بعنوان: "العناية بالسيرة"، وذلك سنة 1986م.

ومما ينبغي ذكره في هذا الموضع أن الملك محمد السادس نصره الله له مبادرات كثيرة ساعية إلى خدمة سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك: كإطلاقه الدروس الحديثية، إحداث جائزة محمد السادس نصره الله لأهل الحديث، وإطلاق منصة محمد السادس للحديث الشريف وغير ذلك[2]، إضافة إلى ختم صحيح البخاري في رمضان، والاحتفال بالمولد النبوي...

هذه أمثلة لبعض المجهودات التي قام بعض ملوك المغرب، خدمة لسيرة النبي الأكرم، وهي في الحقيقة كثيرة، يصعب ذكر الكثير منها في هذا الموضع.

ثانيا: جهود العلماء في عقد المجالس لمدارسة السيرة.

إن العناية السلطانية المتقدم ذكرها كان لها دور في تشجيع العلماء على عقد عدد من المجالس العلمية لقراءة كتب السيرة وشرحها ومناقشة مضامينها، وكانوا يحرصون على اختيار الكتب التي تميزت بجودة التأليف، واشتهر مؤلفوها بالكعب العالي في هذا العلم، ولعل من أبرز كتب السيرة النبوية التي اعتنى بها علماء المغرب على عهد الدولة العلوية الشريفة: السيرة النبوية لابن هشام، والشمائل المحمدية للترمذي، والشفا للقاضي عياض، والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء للكلاعي (ت:634هـ) ...

وللإشارة فإن هذه المجالس من الصعب حصرها، ومن العسير سوقها وإيرادها، مما يجبر على الاكتفاء بذكر بعض النماذج، وهي كالآتي:

من جملة العلماء الذين كانت مجالس لمذاكرة السيرة "المعطى بن محمد بن الهادي بن عبود المكناسى (ت:1330هـ)"، الذي حلاه ابن زيدان بقوله:" عالم خاشع ناسك ورع، ذو عفة ووقار وهيبة، محب في النبي – صلى الله عليه وسلم – وآله، وسائر المتعلقين بأذياله، فاضل متبتل، واعظ خطيب مصقع، مدرس نفاع، عدل رضي، عارف بالتوثيق ماهر، كان إمام المسجد الأعظم وخطيب مسجد البراذعيين، سرادًا للذخيرة المعطوية، وتفسير الثعلبي، وسيرة الكلاعى النبوية، وصحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان"[3].

---

(1) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ، (6 /358).

(2) **جهود أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في خدمة مصادر الوحي: منصة محمد السادس للحديث الشريف نموذجا، خديجة بوسبع، بحث منشور على موقع الثوابت، رابطه:** https://www.attawabit.ma/، تم الاطلاع عليه 2026/03/01م.

(3) إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ابن زيدان، المحقق: الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ، (366/4).

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

كما كان لعبد السلام بن أحمد جسوس الفاسي (ت:1121هـ) مجلس يضم خلقا كثيرا، ونقل محمد بن جعفر الكتاني (ت:1345هـ) أنه كان من عادته أن يخلل كلامه بقوله: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، يقطع الكلام بذلك ثم يعود إليه، وكان له مجلس حفيل، وغالب تدريسه: صحيح البخاري، والشمائل، وسيرة اليعمري، والشفا"[1].

ومن المشهورين في هذا الباب علي بن سعيد العميرى المكناسي الذي كان يقرئ الشفا للقاضى عياض بعد صلاة المغرب وبعد الصبح، وهو ذو لسان، وذو عبارة مرونقة بالبيان، مولعا بالأدب والتاريخ والسير، ذو تثبت على ما يطالعه فيذكره كما قاله قائله"[2].

ومنهم أيضا الهاشمي بن أحمد بوعبولة المراكشي المنبهي، حيث نقل عنه أنه كان يدرس بضريح السبتي، وبجامعه الكبير: مختصر خليل، وغيره كالهمزية والبردة، وكان يسرد الشفا في رمضان، وله في كل ذلك مجالس حفيلة يحضرها كثير من العوام، سيما إذا كانت بالضريح العباسي، ولا يطل مجلس الدرس فيه، بل ربما مكث فيه نحو ربع ساعة فقط، يقرر بيتا أو بيتين ويختم المجلس"[3].

وللإشارة فإن منطقة سوس ما زالت محافظة على قراءة منظومتي البردة والهمزية للبوصيري بعد صلاتي المغرب والصبح والانتهاء من قراءة الحزب الراتب، حيث يقسمون المنظومتين إلى أرباع، يقرؤون كل يوم ربعا؛ ليتمكنوا من ختمها كل أسبوع.

نخلص مما سبق إلى أن المجالس العلمية المنعقدة لمدارسة السيرة كان لها دور في إيصال قضايا السيرة لكثير من الناس، حيث إن بعضها كان مفتوحا في وجه العموم، مما يتيح الاستفادة لأعداد كثيرة.

ثالثا: التنويع في التأليف.

إن السيرة النبوية حركت قلوب العلماء والصلحاء، وأيقظت هممهم وشحذت أذهانهم، ودفعتهم للاجتهاد في خدمتها، والتأليف في فروعها، وتدوين المصنفات الخادمة لكل القضايا المتصلة بها؛ مما أدى إلى وفرة إنتاجات المغاربة في هذا الباب، وتنوعت إلى مصنفات ومنظومات وشروحات وحواشي ومختصرات...

وجدير بالقول إن التأليف في السيرة منه ما كان عاما اتصف بسرد الأحداث التاريخية الواقعة في الفترة الممتدة من ولاته صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، على غرار كتاب كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج لأحمد بن علي الفاسي الفهري (ت:1364هـ)، والفتوحات الإلهية في أحاديث خير البشرية تشفى بها القلوب الصدية، للسلطان محمد بن عبد الله العلوي (ت:1204)، وكتابي نفائس الدرر من أخبار سيد البشر، والدرر المضيئة من خبر سيد الخليقة، لأبي سرحان مسعود بن محمد بن علي السجلماسي(ت:1119هـ).

---

[1] ينظر: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، المحقق: عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، (18/2).

[2] إتحاف أعلام الناس، ابن زيدان، (552/5).

[3] السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، محمد بن المؤقت المراكشي، المطبعة الوطنية، مراكش، الطبعة الثالثة، 1432هـ، ص: 156.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ومن المؤلفين من اهتم بالأوصاف الخلقية والخلقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفضائله الشريفة، وهو ما يعرف بالشمائل النبوية[1]، مثل: روضة الأزهار في شمائل **النبي المختار**، لعبد السلام بن أحمد العمراني الفاسي، وكتاب ختم الشمائل لمحمد بن القاسم بن محمد القادري (ت: 1331هـ)، ومفتاح الشمائل المحمدية، لمحمد بن محمد التهامي كنون الفاسي (ت:1331هـ) ...[2]

وبعض المؤلفين رأى إفراد مناقب النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه بالتأليف، فألف القاضي عياض (ت:544هـ) كتابه الشفا، وابن دحية الكلبي السبتي (ت:633هـ) كتابه المسمى ب:"نهاية السول في خصائص الرسول"، وأحمد بن عبد السلام البناني (ت:1163هـ) في الروض المعطار في علم النبي المختار...[3].

ومنهم من اهتم بالكتابة في الدلائل الشاهدة على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام، كشفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول وخصائصه، لأبي الربيع سليمان السبتي (ت:520هـ)، وكالآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله من المعجزات لأبي الخطاب عمر بن دحية الكلبي (ت:633هـ)...[4].

ومنهم من ركز اهتمامه على المولد النبوي، فأفرده بالتأليف، كأبي العباس العزفي (ت:633هـ) في كتابه الدر المنظم في مولد النبي المعظم، وابن دحية الكلبي في كتابه الموسوم ب:"التنوير في مولد السراج البشير" ومحمد بن جعفر الكتاني (ت:1345هـ) في كتابه:" إعلام الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق"[5]...

والبعض الآخر رأى أن يصرف جهده إلى خدمة المؤلفات السابقة، وذلك بشرحها، وبيان غامضها، وحل مقفلاتها، ونظم منثورها إلى غير ذلك، ومن الكتب التي حظيت باهتمام كبير: كتاب سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، وكتاب الشفا للقاضي عياض(ت:544هـ)، وكتاب الشمائل للترمذي (ت:279هـ)...، وسيتم التفصيل في هذه الأمر في المحور القادم.

هذا التنوع في التأليف ما هو إلا دليل واضح على كثرة الاهتمام، وشدة العناية بكل ما له صلة بالنبي الكريم، فلا يخلو جانب من حياته إلا ونال حظه من البحث والتأليف، ولم يكن المغاربة مجرد تابعين للمشرق، بل كانت لهم بصمتهم الخاصة، فهم السباقون إلى التأليف في المولديات، كما أظهروا تميزهم في بعض ألوان التصانيف، كالذي ألفه عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري (ت: 1413هـ) وسماه:" الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم" وما كتبه عبد الله بن الطاهر الكرسيفي التازي. ووسمه ب: " تعليق الحمائل فيما أغفله شراح الشمائل".

المحور الثالث: ملامح تميز المغاربة في تبسيط السيرة وتقريبها.

إن جهود المغاربة في تبسيط السيرة وتقريبها تمثلت في اختصار المطولات، وتوضيح المبهمات، وبيان المستغلقات، إضافة إلى الانتقال من المادة المنثورة إلى النظم الموزون المقفى.

---

[1] ينظر: نماذج من إسهامات أهل المغرب في السيرة النبوية، رشيد كسوس، بحث نشرته مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، أكتوبر 2017م، ص: 273.

[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3] ينظر: مظاهر عناية المغاربة بكتب السيرة وكتب الشمائل النبوية وأهم مصنفاتهم وشروحاتهم، عزيز بوزغيبة، بحث نشرته مجلة دعوة الحق، العدد 397 يوليوز 2010م.

[4] جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة السيرة النبوية، محمد أرارو، بحث نشرته مجلة العلوم الشرعية، العدد: 7، يونيو 2020م، ص: 17.

[5] نماذج من إسهامات أهل المغرب في السيرة النبوية، رشيد كسوس، بحث نشرته مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، أكتوبر 2017م، ص: 275.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أولا: تحويل المطولات إلى مختصرات.

لما كثرت المطولات، وشاع ظهور المؤلفات المكونة من أجزاء عديدة، مما يعيق عملية الاستيعاب بالنسبة للطالب المبتدي، ويكون أمر المراجعة عسيرا للعالم المنتهي؛ إضافة إلى أنه قد يكون سببا في حدوث الملل، كما أشار إلى هذه المسألة مكي بن أبي طالب القيسي (ت:437هـ) بقوله:" واختصرنا ذكر قراءة التابعين، ومن وافقهم لمن ذكرنا من القراء، لئلا يطول الكتاب فيعجز عن نسخه، ويحدث الملل في قراءته"[1].

وفي هذا السياق يقول إبراهيم اللقاني في جوهرة التوحيد:

لكِنْ مِنَ التَّطْوِيلِ كَلَّتِ الْهِمَمْ فَصَارَ فِيهِ الاِخْتِصَارُ مُلْتَزَمْ[2]

ولا شك أن صعوبة التعامل مع المطولات دفع إلى ظهور المختصرات، حيث وجه إليها عدد من العلماء، وذلك ببيان فوائدها، ومنهم ابن الفحام (ت:516هـ) حين قال منبها على فوائد الاختصار:" ومن فائدة الاختصار أيضا أن المبتدئ يفهمه سريعا وأن المنتهي يراجعه أسرع"[3]، وشبيه بهذا ما ذكره جمال الدين القاسمي لما قال:" وفائدة الاختصار، سهولته على المتكلم، وإيصال المعنى على الفور إلى المخاطب"[4].

والظاهر مما سبق أن الاختصار مزاياه متعددة، وفوائده متنوعة، ونفعه للمبتدئ ثابت، وافتقار المنتهي إليه وارد، ولذلك عمد من الجلة ثلة إلى الكتب فاختصروها، واقتصروا على أهم ما فيها، سعيا منهم لتقريب السيرة النبوية للمبتدئين، وجعلها في متناول السالكين.

ومن جملة المختصرات التي جادت بها الأقلام المغربية ما يأتي:

- مختصر الشمائل، للقاضي محمد بن أحمد الحريشي الفاسي المالكي، (ت:1202هـ)[5].
- فتية السائل في اختصار الشمائل، لمحمد بن جعفر الكتاني، (ت:1345هـ)[6].
- العطر الشذي في شرح مختصر شمائل الترمذي، لعبد المجيد الشرنبي الأزهري (ت:1348هـ)[7].
- منية السائل خلاصة الشمائل، لمحمد بن عبد الحي الكتاني، (ت:1348هـ)[8].
- طرر على شمائل الترمذي، لعبد الرحمن بن محمد العارف الفاسي (ت:1036هـ).

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، المحقق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1401هـ، (393/2).

(2) جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني، منشورة على موقع الرابطة المحمدية للعلماء، على الرابط: https://url-shortener.me/F2HK+، وتم الاقتباس منه بتاريخ: 2026/03/1م.

(3) التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، ابن الفحام، المحقق: عبد الرحمن إبراهيم بدر، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة: الأولى، 1426هـ، ص: 10.

(4) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ (163/1).

(5) ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحال، المكتبة العربية، دمشق، (250/8).

(6) معجم ما ألف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لصلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، 1402هـ، ص:195.

(7) مطبوع في مكتبة الآداب–القاهرة، سنة 1919م.

(8) طبع بتحقيق، د: عبد المجيد خيالي، ونشره مركز التراث الثقافي الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1462هـ–2005م.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- تعليق على شمائل الترمذي، محمد التاودي بن سودة، (ت:1209هـ)[1].

هذه بعض النماذج الشاهدة على جهود المغاربة في تلخيص السيرة النبوية، وإنتاجاتهم في هذا الباب عديدة، لا يسع المقام لذكر كثير منها، حيث تم الاقتصار على إيراد البعض؛ لكونه كاف في الدلالة على المطلوب.

ثانيا: الانتقال من النص الأصلي إلى الشرح المفصل.

إن التحول من النصوص الأصلية إلى المادة العلمية الميسرة، يكون من خلال توضيح معاني الألفاظ المستغلقة بسبب الغرابة وقلة الاستعمال أو غير ذلك، كما تشتمل عملية التبسيط هذه على استنباط بعض المعاني الدقيقة التي أغفلها مؤلف المادة الأصلية، إضافة إلى أن عملية الشرح تهم حل الإشكالات الناتجة عن غموض أو تعارض، علاوة على ذلك يمكن للشارح القيام بالنقد والتصويب المتعلق بالأسانيد والمتون.

ولأجل هذا اعتنى عدد من العلماء المغاربة بالمتون الأصلية، وذلك بصرف جهودهم نحو تبسيطها حتى تكون في المتناول، ولعل من جملة الكتب التي نالت جانبا كبيرا من الاهتمام: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وشمائل الترمذي....

ومما ينبغي التنبيه إليه أن علماء المغرب كانت لهم عناية فائقة بكتاب الشفا، حيث تنوعت جهود المشتغلين عليه بين شارح له، ومعلق عليه، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- شرح الشفا، لأبي عبد الله محمد العربي الفاسي الفهري (ت: 1052هـ)[2].
- المنهل الأصفى في شرح الشفا، أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي شريف (ت: 921هـ)، قال فيه ابن مخلوف:" شرح الشفا شرحاً جيداً أسماه المنهل الأصفى وعرضه على شيخه ابن غازي وشكره"[3].
- إيضاح اللبس والخفاء عن ألفاظ الشفاء، عبد الله بن أحمد، الزموري، توفي بعد 888هـ[4].
- شرح الشفا لأبي عبد الله ابن السكاك المكناسي (ت: 818هـ)[5].

ومن جهود المغاربة المشهودة في تبسيط كتاب الشمائل:

- حاشية على شمائل الترمذي، لمحمد بن الطيب الشركي الفاسي (ت: 1170هـ)[6].
- شرح الشمائل، لأبي العلاء إدريس بن محمد العراقي الفاسي، (ت: 1183هـ)[7].
- شرح الشمائل، أحمد الطالب بن سودة، (ت:1321هـ)[8].
- شرح الشمائل لابن قاسم جسوس (ت:1182هـ)

---

(1) ينظر: عناية المغاربة بالسيرة النبوية (كتاب الشمائل أنموذجا)، مراد زهوي، مجلة الدراسات الإسلامية، 3 نونبر 2022م.

(2) سلوة الأنفاس، الكتاني، (353/2)

(3) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف، دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة: الأولى، 1424هـ، (400/1).

(4) أشار الزركلي بأن الكتاب ما زال مخطوا بخزانة أدوز بسوس، ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002م، (68/4).

(5) النبوغ، عبد الله كنون، (216/1).

(6) فهرس الفهارس، عبد الحي الكتاني، (598/2).

(7) شجرة النور الزكية، ابن مخلوف، (512/1).

(8) الإعلام، الزركلي، (139/1).

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- شرح الشمائل لبدر الدين الحومي (ت:1266هـ)
- نشر الشمائل لنشر الشمائل لإبراهيم بن محمد التادلي (ت:1311هـ)[1].
- وسيلة الفقير المحتاج في شرح شمائل صاحب اللواء والتاج، لأبي عبد الله محمد بن بدر الدين الشاذلي الفاسي (ت: 1266هـ)[2].
- حاشية شمائل الترمذي، للإمام الفقيه عبد الرحمن التَّعْرْغَرْتِي السوسي، (ت:1276هـ) [3].
- المستخرج على الشمائل المحمدية، لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري(ت: 1380هـ) [4].

كما شرح أبو القاسم السهيلي (ت: 581هـ) سير ابن هشام في سبع مجلدات[5]، ولا ينبغي أن يفهم مما سلف ذكره أن المغاربة اقتصر جهدهم على خدمة مؤلفات المشارقة، بل كانت لهم مؤلفات سارت بها الركبان، وطار ذكرها في الآفاق، على غرار: الشفا للقاضي عياض، وكتاب الذخيرة في السيرة النبوية لأبي الذخائر محمد المعطي الشرقي دفين أبي الجعد، وصفها عبد الحي الكتابي بقوله:" وهي من أعظم الكتب التي فاق بها المغاربة على غيرهم لأنها في نيف وسبعين مجلداً من القالب الكبير ... وكل مجلد أو أكثر من هذه المجلدات في موضوع من مواضيع السيرة، فله في المعراج سبع مجلدات، وفي الحج والزيارة وأماكنهما مجلدات سبعة، وفي الشمائل النبوية سبعة أسفار أيضاً، وسفر في المولد، وسفر في الوفاة النبوية، وسفر في النعال النبوية، وسفر في الأسماء النبوية، وسفر في الأعضاء النبوية"[6].

يظهر مما تقدم أن أهل المغرب كانت لهم جهود محمودة، في تبسيط مباحث السيرة وتقريبها للأفهام، إذ إن كتب الأولين في السيرة لا تخلو من ألفاظ عسيرة الفهم، ونصوص صعبة الإدراك، ومعان بعيدة الاستيعاب، فانبرى عدد من علماء المغرب؛ لتذليل صعبها، وتقريب بعيدها، وتيسير فهم مغلقها، وإزالة الغموض الذي قد يحيط ببعض مسائلها، من خلال كتابة شروح وافية، وتدوين حواشي موفية، قد تم الاكتفاء بالإشارة إلى بعضها.

ثالثا: التحول من المتن المنثور إلى النظم الموزون.

لا يخفى على المتهمين بالعلوم الشرعية أن المنظوم أسهل في الاستحضار من المنثور، لكونه مترابطا متماسكا يذكرك بعضه ببعض، علاوة على بقائه في الذهن مدة أطول من النثر، زيادة على أن حفظه أيسر؛ لأن الأذن تألفه، والنفس تهواه، والقلب يركن إليه، وفي بيان فوائد المنظوم يقول بعضهم:

لأنه يسهل الحفظ كما ... يروق للسمع ويشف من ظما

---

(1) النبوغ، عبد الله كنون، (300/1).

(2) الإعلام، الزركلي، (155/1).

(3) سوس العالمة، المختار السوسي، ص: 200.

(4) البحر العميق في مرويات ابن الصديق، لمحمد بن الصديق الحسني الغماري، دار الكتبي. الطبعة الأولى، 1428هـ 2007م، (39/1).

(5) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ.

(6) فهرس الفهارس، (780/2).

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

نظم الشمائل المحمدية والسيرة المصطفوية، للسلطان عبد الحفيظ بن الحسن العلوي، (ت: 1356هـ)[1].

ولمحمد بن أحمد المرابط الدلائي الفاسي، المتوفى سنة (1688م)، له قصيدة دالية مسمطة، من مجزو الكامل في 54 بيتا[2].

ومنهم العلامة علال الفاسي، المتوفى سنة: (1974هـ)، له قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وفي مولده منها ما أنشده بين يدي الملك محمد الخامس عام 1378هـ.

ومن قصائد المولديات عند العلامة علال الفاسي أيضاً (القصيدة التي ألقاها بمناسبة ختمة الوزير الأكبر السيد عبد الله الفاسي للشمائل المحمدية[3].

- نظم الشمائل، لأحمد بن أحمد زروق، (899هـ)[4].
- ميمية في ختم الشمائل المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن طاهر الهواري المالكي، (ت:1259هـ).
- نظم الشمائل، لأحمد بن محمد صديق الغماري، المتوفى سنة: (ت:1380هـ) [5].
- قصيدة لامية في المديح النبوي، للشيخ العلامة الأديب المجاهد أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين (1337هـ)[6]
- مسرح الأفكار بسيرة النبي المختارﷺ[12]: للشيخ الفقيه، والشاعر الأديب ماء العينين ابن العتيق بن محمد فاضل ابن الطالب أخيار (1376هـ)، وهو نظم في أحداث السيرة النبوية، وعدد أبياته: (272 بيتا) [7].
- القصيدة الشقراطسية في مدح خير البرية، لأبي محمد عبد الله بن أبي زكرياء الشقراطسي، (ت: 466هـ)[8].
- بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية لماء العينين ابن العتيق، (ت:1376هـ)[9].
- العسل المصفى في عدد من استشهد زمن المصطفى، لمربيه ربه بن الشيخ ماء العينين (ت:1361هـ)[10].

هذه فقط عبارة عن أمثلة من جهود المغاربة في سياق تبسيط السيرة من خلال سلوك منهج فريد في التأليف، يتمثل في تحويل الكلام المنثور إلى مادة علمية موزونة، بهدف تقريبها للفهم، وتسهيلها في الحفظ، وتقديمها للراغبين في شكل جديد.

---

(1) ينظر: الأعلام، الزركلي، (277/3).

(2) مظاهر عناية المغاربة بكتب السيرة وكتب الشمائل النبوية وأهم مصنفاتهم وشروحاتهم، عزيز بوزغيبة، بحث نشرته مجلة دعوة الحق، العدد 397 يوليوز 2010م.

(3) ديوان علال الفاسي، تحقيق عبد العلي الودغيري، منشورات مؤسسة علال الفاسي، (120/1).

(4) جامع الشروح والحواشي، عبد الله محمد الحبشي، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، 143هـ، (1114/2).

(5) المرجع السابق، (1115/2).

(6) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم:1631، خزانة التراث، فهرس المخطوطات، قام باصداره مركز الملك فيصل، (640/87).

(7) وهي منشورة على صفحة الموسوعة الشنقيطية، على الرابط الآتي:/منظومة ـ مسرح ـ الأفكار https://chinguitipedia.net/ وتم الاطلاع عليه بتاريخ: 2026/03/03م.

(8) اعتنى بها نزار حمادي، دار ابن عرفة، تونس.

(9) بعض مؤلفات علماء الصحراء المغربية في السيرة النبوية، محمد بن علي اليولو الجزولي، بحث نشرته الرابطة المحمدية للعلماء بتاريخ: 11-2024م، وتم الاطلاع عليه يوم: 2026/03/03م.

(10) المرجع السابق.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ولقد تميز المغاربة في باب النظم، وبزوا فيه غيرهم، فكانت لهم إنتاجات في هذا الباب نفيسة، ومؤلفات ذات قيمة علمية ومعرفية كتب لها الانتشار ورزقت القبول.

خاتمة.

بعد ختام البحث ارتأيت تذييله بمجموعة من النقاط تكون خلاصة لما تضمنه البحث، وهي كالآتي:

- إن بداية الاهتمام بعلم السيرة كان مهده بالمشرق، لكن المغاربة ضربوا فيه بسهم وافر، فكان لهم تميزهم وتفردهم المشهود في عدد من فروع السيرة النبوية.
- عناية المغاربة بالسيرة راجع لتعلقهم بجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث ظهر التعلق من خلال حديثهم عن أوصافه، ومحبتهم له ولآل بيته، والاحتفال بمولده، وعقد لقاءات للصلاة عليه.
- قد كان لملوك المغرب وسلاطينه جهود في خدمة السيرة النبوية من خلال حثهم على عقد لقاءات لمدارستها، وتحبيس عدد من نسخ كتب السيرة على عدد من الخزانات، إضافة إلى إهداء كتب إلى بعض المساجد الثلاث التي تشد لها الرحال.
- والعلماء بدورهم كانت لهم جهود محمودة في خدمة السيرة النبوية، وذلك من خلال عقدهم لمجالس لمدارسة السيرة وإيصالها لعموم الناس، كما أن تنوع المؤلفات، واختلاف المصنفات التي شملت كل فروع السيرة دليل على العناية الفائقة والاهتمام البالغ.
- إن المغاربة كان لهم تميز في تبسيط السيرة وتقريبها حتى تكون في متناول الراغبين، وقد تجلى هذا التبسيط من خلال تحويل المؤلفات الطويلة إلى مختصرات، وذلك بحذف الأسانيد والمسائل المكررة والقضايا الثانوية.
- وفي سياق تيسير السيرة تم الاشتغال على عدد من الكتب بالشرح والتفصيل وبيان الغامض وتوضيح المستغلق وإزالة الإبهام عن القضايا التي يكتنفها الغموض.
- كما تميز المغاربة في إطار تبسيط السيرة بالانتقال من المتن المنثور إلى المادة الموزونة، حتى يسهل حفظها واستحضارها عند الحاجة.

هذا ما تيسر جمعه وعرضه، ما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطإ أو زلل فمرده إلى النفس والشيطان وقلة البضاعة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع:

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ابن زيدان، المحقق: الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429هـ.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس محمد الناصري، حققه: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002م.
- البحر العميق في مرويات ابن الصديق، لمحمد بن الصديق الحسني الغماري، دار الكتبي. الطبعة الأولى، 1428هـ.
- بعض مؤلفات علماء الصحراء المغربية في السيرة النبوية، محمد بن علي اليولو الجزولي، بحث نشرته الرابطة المحمدية للعلماء بتاريخ: 11-11-2024م.
- التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، ابن الفحام، المحقق: عبد الرحمن إبراهيم بدر، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة: الأولى، 1426هـ.
- جامع الشروح والحواشي، عبد الله محمد الحبشي، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، 143هـ،
- جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة السيرة النبوية، محمد أرارو، بحث نشرته مجلة العلوم الشرعية، العدد: 7، يونيو 2020م.
- جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني، منشورة على موقع الرابطة المحمدية للعلماء، على الرابط: https://url-shortener.me/F2HK+،
- دلائل الخيرات، محمد بن سليمان الجزولي
- ديوان علال الفاسي، تحقيق عبد العلي الودغيري، منشورات مؤسسة علال الفاسي.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ.
- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، محمد بن المؤقت المراكشي، المطبعة الوطنية، مراكش، الطبعة الثالثة، 1432هـ.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، المحقق: عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- سوس العالمة، المختار، مؤسسة بنشرة، الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 1404هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف، دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة: الأولى، 1424هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى، حققه: أسامة الرفاعي وآخرون، دار الفيحاء، عمان، الطبعة: الثانية، 1407هـ.
- عناية المغاربة بالسيرة النبوية (كتاب الشمائل أنموذجا)، مراد زهوي، مجلة الدراسات الإسلامية، 3 نونبر 2022م.
- عناية ملوك الدولة العلوية بالخزائن العلمية وتحبيس الكتب عليها، عبد العزيز تيلاني، بحث نشرته مجلة دعوة الحق العدد 404 صفر 1434هـ

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- فهرس الفهارس والأثبات، عبد الحي الكتاني، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1982م.
- الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، المحقق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1401هـ.
- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
- المصنفات المغربية في السيرة، محمد يسف، بحث نشرته: مجلة دعوة الحق، العدد: 260، نونبر 1986م.
- مظاهر عناية المغاربة بكتب السيرة وكتب الشمائل النبوية وأهم مصنفاتهم وشروحاتهم، عزيز بوزغيبة، بحث نشرته مجلة دعوة الحق، العدد 397 يوليوز 2010م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحال، المكتبة العربية، دمشق، عام النشر: 1381هـ
- معجم ما ألف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لصلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، 1402هـ.
- ملء العَيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ابن رشيد السبتي، المحقق: ابن الخُوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، الطبعة: الثانية، 1380هـ
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقري، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: 1997م.
- الرحلة العياشية، عبد الله بن محمد العياشي، المحقق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، الطبعة الأولى: 2006م.
- الرحلة الناصرية الكبرى، محمد بن عبد السلام الناصري، المحقق: المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة: 1434هـ.
- نماذج من إسهامات أهل المغرب في السيرة النبوية، رشيد كسوس، بحث نشرته مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، أكتوبر 2017م.

- نماذج من إسهامات أهل المغرب في السيرة النبوية، رشيد كسوس، بحث نشرته مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، أكتوبر 2017م.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/